تمهيد

الفكر الإنسانى والفلسفة الحديثة

فى البدء كان الإنســان حرا طليقا فى الكون لايحده حدود ولا يقيده قيود. واستمتع الإنسان بحياته على الفطرة التى خلقه الله عليها. ولكنه وبعد فترة متدرجة من الزمن، وقف يتأمل الكون مندهشا وبدأ فكره يعمل واســتخدم العديد من كلمات الاســتفهام عما حوله مثل لماذا.. وكيف.. وأين.. وما.. كل ذلك لكى يصل إلى الحقيقة.. أى حقيقة الأشياء.

.. واســتمر ذلك الأمر منذ بداية التفكير الإنســانى وحتى وصلنا إلى مرحلة الفلسفة القديمة حيث كان البحث الإنسانى يدور حول الحقيقة. وعاشــت الفلسفة فى اليونان القديمة فى جو من التقدير والاعتبار الذى وضع مطلب الحقيقة غاية عليا وسامية.

ولكن تغير الحال فى العصور الوســطى حيث انتشرت المسيحية فى أوربا كلها وأســلم الناس قياداتهــم إلى الدين، حيث كان على المفكرين أو الفلاســفة التوفيق بين الفلســفة والدين وتحولت الفلسفة فى العصور الوسطى من مطلب الحقيقة إلى خدمة الدين.

ثم جاء عصر النهضة وعادت الفلســفة، والفكر الإنسانى عمادها إلى البحث الحر عن الحقيقة، وخاصة بعد انتشار العلم وتطبيقاته العلمية، حيــث اتجه الفكر الإنســانى إلى ما يمكــن أن يكون مفيــدا ونافعا فى الحياة. وهنــا حدث التقارب بين العلم والفلســفة حيث أصبح الهدف لكل منهما هو تحقيق المنفعة للإنسان.

وهكذا ظهرت الفلسفة الحديثة كوسيلة لتحقيق أهداف أو غايات أو منافع إنسانية واجتماعية. وأصبح الفليسوف أوالمفكر أكثر قرباً من مجتمعه وظروف حياة أفراده وتفرغ بقدرته العقلية التحليلية الناقدة لدراسة قضايا ومشكلات مجتمعه لإيجاد الحلول لها. ومن هنا أصبح الجهد الفلسفى أو فكر الإنسان الفليسوف أكثر ارتباطاً بالبحث فى مشكلات الإنسان والمجتمع عنه فى البحث عن مشكلات الكون والوجود، وذلك خاصة بعد ازدياد تعقد الحياة بصفة عامة فى العصور الحديثة بل والمعاصرة.

ومن الضرورى هنا أن نشير إلى أن الفلسفة الحديثة لم تكن طبيعية فحسب، بل كانت فردية أيضاً فقد كان من مميزاتها الدعوة إلى تحرير عقل الفرد، وتقرير حق الفرد فى الحكم على الأشياء، والسماح لكل فرد أن يبحث فى أى شىء ينتقده.. غير مقيد فى ذلك بأية سلطة خارجية. ويعنى ذلك أنه أصبح لعقل الإنسان القول الفصل فى الحكم على الأشياء.. وبذلك ساد الاعتقاد بأن العقل الإنسانى قادر على أن يحل كل أسرار الكون، أو يفسر الطبيعة كما يراها ويفهم سرها. بل وصل إلى أبعد من ذلك من هذه الأسرار.

وعلى ذلك نستطيع القول أن الفكر الإنسانى فى العصر الحديث أصبح قادراً على:-

أ - دراسة الكون أوالطبيعة من خلال الملاحظةوالتجربة.

ب - حرية الفرد فى التفكير، وحريته أيضاً فى الحكم على ظواهر الكون.

ت – التـــزاوج بين المـــادى والعقلى فى التفكير. فـــلا مادية خالصة أو محضـــة فـــى التفكير، وفى نفـــس الوقت لا اســـتخدام للعقل بمفرده فى التفكير.

إن هذه الأمور الثلاثة الســـابقة تسمح لنا بأن تؤكد أن العقل الفردى أو الفكر الإنســـانى له الكلمة الفاصلة فى كل شـــىء، دون قيد أو سلطة خارجية. ومن هذا المنطلق، وعلى هذا الأســـاس قامت الفلسفة الحديثة وكان أول من حمل لواءها كل من:

فرنسيس بيكون (الإنجليزى) ورينيه ديكارت (الفرنسى).

ومـــن الجديـــر بالذكر أن بيكـــون وديكارت قد أتفقا فـــى الغرض أو القصـــد، ولكنهما اختلفا فى الوســـيلة.. ذهب «بيكـــون» إلى أن المصدر الوحيـــد للمعرفـــة أو الحقيقة هـــو.. ملاحظة العـــالم الخارجى وتجربة ظواهـــره، فى حـــين أن «ديكارت» ذهب إلى أن العقـــل يمكن أن يكون عاملا مساعدا تتدفق منه المعرفة إلى جانب العالم الخارجى الذى ينتقل إلينا علمه أو معرفته بواسطة الحواس.

وكان مـــن نتائـــج هذا التطور فى التفكير الإنســـانى ظهور مذاهب أو مدارس فلسفية جديدة فى أوربا وأمريكا بصفة خاصة نذكر منها: مذهب المنفعـــة عند «جيرمى بنتام» فى إنجلترا، والوجودية عند «ســـارتر» فى فرنسا، والبرجماتية عند «وليم جيمس» فى أمريكا.

وقد جاءت هذه المذاهب الفكرية أو الفلســـفية مصاحبة لتقدم الطبيعة وتطبيقاتها، وبدأ الإنســـان إزاء ذلك فى الالتفات إلى ذاته أو إلى نفســـه لدراستها وللبحث عن تاريخ الإنسانية. وقد أدى هذا – كما ذكرنا – إلى

ظهور فلسفات أو مذاهب فلسفية جديدة ومعاصرة محورها الأساسى هو الإنسان الفرد.

وفى هذا الصدد لايجب أن نغفل مدى تأثر العالم العربى، بل والإسلامى بمثل هذه الفلسفات أو المذاهب الفكرية الحديثة والمعاصرة، وظهور مفكرين مصريين وعرب وإسلاميين مثل رفاعة الطهطاوى، وجمال الدين الأفغانى، وعلى مبارك باشا، وعبد الرحمن الكواكبى، ومحمد عبده، ومحمد رشيد رضا، وقاسم أمين، وأحمد لطفى السيد وغيرهم.. حملوا جميعا لواء التغيير والإصلاح والتنوير السياسى والاجتماعى والتربوى والدينى فى مصر والعالم العربى والإسلامى.

❑❑❑